بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون

مقدمة الكتاب

من المعلوم أن اللغة التى يتكلمها أهل مصر فى الآونة الحاضرة هى اللغة العربية محرفة عن أصولها خارجة عن قيودها وقواعدها ، والتحريف فى اللغة العربية قديم يرجع عهده إلى زمن النبوة .

ولهذا التحريف أسباب بعضها فى نفس اللغة والبعض الآخر خارج عن اللغة.

أما الأسباب التى هى فى نفس اللغة فهى :

١ — تعدد اللهجات بتعدد القبائل واختلافها .

٢ — خصائص اللغة وسننها .

٣ — اتساع اللغة .

أما الأسباب الخارجة عن اللغة فهى :

١ — مخالطة العرب لغيرهم من الأعاجم .

متى ابتدأ اللحن فى اللغة العربية ؟

اللحن فى اللغة العربية قديم ، وأول ما عرف كان فى عهد النبوة ، قال السيوطى[1] إن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الأعراب ، لأن اللحن ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد لحن

(١) المزهر ص ١٩٩ ج ٢ .

رجلٌ بحضرته فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضلّ » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنَّى لى اللحن » فهذا دليل على وجود اللحن فى زمنه . قال أبو بكر الصولى فى كتابه أدب الكاتب[1] كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى وقد قرأ فى كتابه لحناً : قَنِّعْ كاتِبَكَ سَوْطًا : (قَنَّعَهُ بالسيف والسوط والعصا علا به من القَنْعَةِ وهى رأس الجبل والإنسان) . وزعم الفرّاء أن أوّل لحن سمع بالعراق : هذه عصاتى بدلا من هذه عصاى[2] وقال الصُّولى حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال كان ابن قادم مع إسحاق ابن إبراهيم المُصْعَبى فكتب كاتبه ميمون بن إبراهيم إلى المأمون كتابا فيه : وهذا المـال مالاً يجب على فلان خطّ المأمون على مالاً ووقع بخطه فى حاشية الـكتاب ، أتكاتبنى بلحن يا إسحاق ؟ فاشتد ذلك عليه ، قال : فحدثنى ابن قادم قال : أتانى ميمون فقال : الله فِىّ اُحْتَلْ لى ، فحضرت فسألنى إسحاق عن الحرف فقلتُ الوجهُ ، وهذا المـالُ مالٌ ومالاً يجوز على تأويل لأخلّص الـكاتب ، فقال إسحاق لـكاتبه قد عفوت عنك فدَعْنى من يجوز والزَمْ صحيح الإعراب قال : ثم أكبّ ميمونُ علىّ يقرأ النحو حتى فهم منـــه شيئاً كثيراً ، وقال الصولى : حدثنى أبو عبد الرحمن الألوسى العباسى بن عبد الرحيم قال : سمعت عبد الله بن قتيبة يقول : كتب إلىّ رجلٌ من سُرَّ من رأى قد قرأت كتابك المترجم بكتاب الـكُتّاب ، وقد أعْبَت عليك فيه حرفاً ، فـكتبت إليه : وصل كتابك وفهمته وقد عِبْتُ عليك قولَك وأعبت عليك والسـلام ، وقالوا : اللحن فى الـكتاب أقبح منه فى الخطاب ، وقال أبو بكر : لأن أقرأ فأسقط أحبّ إلىّ من أن أقرأ فألْحن ، وما أحسن ما قال بعض الزهاد : أعْرَبْنا فى كلامنا فـا نلحن ، ولحنّا فى كلامنا فـا نعرب ، ولَحَنَ يَلْحَنُ لَحْناً : إذا مال الصواب عن جهة إلى أخرى .

(١) المزهر ص ١٢٩ . (٢) المزهر ص ٥٢ ج ١

١ ــ تعدد اللهجات

اختلفت اللهجات فى اللغة العربية باختلاف القبائل فى قلب الجزيرة و بعدها أو قربها من الأمم المجاورة لها .

أفصح اللهجات

أفصح اللهجات جميعاً وأبعدها عن الفساد لغة قريش . قال أحمدبن فارس : أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قُرَيْشًا أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً ، وذلك لبعدها عن بلاد الأعاجم وقطونها الحَرَم ، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحجّ ، ويتحاكمون إلى قريش ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، وكذلك من قرب من قريش من القبائل كثَقيف وهُذَيْل وخُزاعة و بنى كِنانة وغَطَفان و بنى أسَد و بنى تميم ، فإنها كانت من أفصح العرب لغة ، وكانت سائر القبائل الأخرى من بلاد العرب أقلّ فصاحة من هـــذه التى ذكرنا لوجودها فى أطراف بلادهم وقربها من بلاد الأعاجم واختلاطها بسكانها ، وتلك القبائل كلَخْم ، وجُذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط وقُضاعة وغَسّان و إياد لمجاورتها الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية وتَغْلِب واليمن لمخالطتهم اليونان والهند والحبشة بالتجارة و بنى حنيفة وعبدالقَيْس وأزْد عُمان ، فإنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفُرْس وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم وحاضرة الحجاز ، فقد خالطت

غيرها من الأمم ففسد لسانها ، وذكر أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمْدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب[1] قبائل الجزيرة العربية وبين لهجاتها وميز بينها فى الفصاحة واللكنة قال : أهل الشِّحْر والأسعاء ليسوا بفصحاء ، مَهْرَة غُتْم يشاكلون العجم ، حضرموت ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كِنْدَة وهَمْدان وبعض الصَّدَف سَرْوُ مَذْحِج ومَأْرب وبَيْجان وحُرَيْب فصحاء ، وردى اللغة منهم قليل سَرْو حِمْيَر وجَعْدَة ليسوا بفصحاء ، وفى كلامهم شىء من التحمير ويجرُّون فى كلامهم ويحذون ، فيقولون : يابن مَعَمّ فى يا ابن العَمّ ، وسِمَعْ فى اسْمَعْ ، لَحْج وأَبْيَن ، ودُثَيْنة أفصح ، والعامريون من كِنْدَة والأَوْديُّون أفصحهم عَدَن لغتهم مولدة رديّة ، وفى بعضهم : نُوكٌ وحماقة إلا من تأدب ، بنو مجيد ، وبنو وافد ، والأَشْعَر لا بأس بلغتهم ، سافلة المعافِر غُنْمٌ ، وعاليتها أَمْثَلُ ، والسَّكاسِكُ وسَطُ بلد الكَلاع ، نجديّة مثيلٌ مع عُسْرة من اللسان الحميرى سراتهم فيهم تعقُّد ، سَحْلان وجَيْشان ، وورَاخ وَخَضَر والصُّهَيْب وبَدْر قريب من لغة سَرْو حمير ويَحْصِب ورُعَيْن أفصح من جُبْلان ، وجُبْلان فى لغتهم تعقُّد حَقْل قَتاب فالى ذَمار الحميرية القُحَّة المتعقدة سراة مَذْحِج مثل : رَدْمان وقَرَن ، ونَجْدُها مثل : رَداع ، وإسْبِيل وكَوْمان والحدا وفائقة ودِقْرار فُصحاء ، خَوْلان العالية قريب من ذلك ، سحمر وقَرَد والجَبَلة ومُلَح ولَحَج وحَمْض وعُتْمَة ووتْيَج وسِمْح وأنِس وأَلْهان وسَطٌ وإلى اللكنة أقرب ، حَراز والأُخْروج ، وشُم وماضِح والأحبوب ، والحجادب وشَرَف أقْيان ، والطرْف ، وواضِع والمَعْلَلُ خُلَيْطَى من متوسط بين الفصاحة واللُّكْنة ، وبينهما ما هو داخل فى الحميرية المنعقدة لاسيما الحَضور من هذه القبائل بلدُ الأَشْعَر وعَكّ وحكم بن سعد من بطنى تهامة وحوازها لا بأس بلغتهم إلا من

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤

سكن منهم القُرى، هَمْدان من كان منهم فى سراتها من حاشِد خُلَّيْطَى من فصيح مثل عُذَر وهِنْوَم وحَجُور غُتْم مثل بعض قُدَم ، و بعض الجَبَر نَجْدِىّ بلدُ هَمْدان. البَوْنُ منه المَشْرِقُ والحَسَبُ عربىّ يخلط حميرية ، ظاهر هَمْدان النجدى من فصيح ودون ذلك خَيْوان فصحاء وفيهم حميرية كثيرة إلى صَعْدَة و بلد سُفْيان من أرحَب فصحاء إلا فى قولهم أَمْ رَجُلُ وقَيِّدْ بَعيراك ، ورأيت أخواك و يشركهم فى إبدال الميم من اللام فى الرجل والبعير وما أشبهه ، الأشعَرُ وعَكّ و بعض حَكَم من أهل تهامة وعُذَر مَطِرَه ونِهْم ومُرْهِبَة وذبيان وسكن الرَّحَبَة من بَلْحَرِث فصحاء صِناف بالجوف الأعلى دون ذلك حَرْفان وأثافِت لا بأس بفصاحتهم ، سَكَن الجَوْف فصحاء إلا من خلطهم من جيرة لهم تهاميين قابِل نَهِم الشمالى ونعمان مُرْهِبَة ، فظاهرُ بنى عَلِيَّان وظاهر سُفْيان وشاكر فصحاء بلدُ وادِعة بنو حَرْب أهل أمانة فى جميع كلامهم و بنو سَعْد أفصح من ذِمار إلى صنعاء متوسط وهو بلدّ ذى جُرَهْ ، صنعاء فى أهلها بقايا من العربية المحضة ونبذ من كلام حمير ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات لكل بقعة منها لغة ومن يصاقب شَعُوب يخالف الجميع شِبام أَقْيان والمصانع وتُخْلِى حميرية محضة خَوْلان صَعْدة نجديها فُصحاء وأهل قَدَّها وغَوْرها غُتْم ، ثم الفصاحة فى العِرْض فى وادِعَة فَجَنْب فَيام فزُبَيْد فبنى الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام فأرض سَنْحان، فأرض نَهْد و بنى أُسامة، فعَنْز فخَثْعَم فَهلال فعامِرٌ من ربيعة فسراة الحِجْر فَدَوْس فغامِد فَيَشْكر فَفَهْم فثَقيف فبُجَيْلة ، فبنو علىّ غير أن أسافل سروات هذه القبائل مابين سراة خَوْلان والطائف دون أعاليها فى الفصاحة وأما العروض ففيها الفصاحة ماخلا قراها ، وكذلك الحجاز فنجد السُّفْلَى فالى الشام و إلى ديار مُضَر وديار ربيعة فيها الفصاحة إلا فى قراها ، فهذه حال لغات الجزيرة.

ولما نزل القرآن الشريف على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغة

قريش زادت اللغة العربية ضبطاً و إحكامًا ، وكان للعرب نبراساً ولألسنتهم هاديا ومرشداً وقانوناً يسيرون على مقتضاه؛ لما فيه من البلاغة التى أعجزتهم جميعاً عن الإتيان بمثلها،وتغلبت لغة القرآن على سائر اللغات العربية فى طول الجزيرة العربية وعرضها ، وصارت هى المثل الأعلى فى الفصاحة ، والبلاغة تقلده وتقتبس منه فى كلامها وكتابتها ، وصار القرآن الشريف هو الحافظ للغة العربية من الضياع أو التغيير والتبديل ، يفهمها المسلمون فى جميع بقاع الأرض ، يفهمونها ويكتبونها ويتكلمون بها (بقطع النظر عن التحريف الذى دخل عليها) كما عهدت من القديم إلى اليوم ، وهى معجزة لم تتفق للغة من لغات العالم غيرها ، وهى باقية على هذا الحال ما بقى القرآن ، والقرآن باقٍ لقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

الردى والمذموم من لغات العرب

لغات العرب المذمومة هى :

١ — الكَشْكَشَة فى ربيعة يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيناً ، فيقولون : رَأَيْتُكَش وبِكِش وَعَلَيْكِش وأعطيتِكِش ورأيتكِش ، فمنهم من يثبتها حال الوقف وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها فى الوصل أيضا ، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف ، فيقول : مِنْشِ وَعَلَيْش .

٢ — الكَسْكَسَة وهى فى هوازن يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى المذكر سيناً ، وقصدوا بذلك الفرق بينهما ، فيقولون : مِنْكِس وعَنْكِس .

٣ — العَنْعَنَة وهى فى كثير من العرب فى لغة قَيْس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها

عَيناً ، فيقولون فى إنَّك : عنَّك ، وفى إذَنْ : عِذَنْ ، وتقول عِنّ عبد الله قائم .

٤ — الفحفحة فى لغة هُذَيْل يجعلون الحاء عَيْناً .

٥ — الوَكْم فى لغة ربيعة ، وهم قوم من كلب يقولون : عَلَيْكِم وبِكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة .

٦ — الوَهْم فى لغة كلب يقولون : مِنْهِم وَعَنْهِم وبينَهِم ، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة .

٧ — العَجْعَجَة فى لغة قُضاعة يجعلون الياء المشدَّدة جيماً يقولون فى تميمىّ : تميمج ، وبَصْرِج : فى بَصْرِىّ ، وكوفِج : فى كوفىّ ، وفى الإضافة نحو : غُلامِج فى غُلامىّ .

٨ — الاستِنْطا فى لغة سعد بن بكر وهُذَيْل والاسْد وقيس والأنصار تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء ، كأَنْطَى فى أعطَى ، وفى حديث الدعاء : لا مانع لما أَنْطَيْتَ ولا مُنْطِى لما مَنَعْت .

٩ — الوتم فى لغة اليمن تجعل السين تاء كالنَّات فى الناس .

١٠ — الشنشنة فى لغة اليمن يجعل الكاف شيناً مطلقاً كلبَّيْش فى لَبَّيْك .

١١ — من العرب من يجعل الكاف جيما كالجَعْبَة فى الكَعْبة .

١٢ — الخَزْم وهو زيادة حرف فى الكلام كقوله : ولا لِلِمَابهم أبداً دواء .

١٣ — اللخلخانية تعرض فى لغة أعراب الشِّحْر وعُمان كقولهم : مَشا الله ، أى ماشاء الله .

١٤ — الطمطمانية تعرض فى لغة حمير ، كقولهم : طاب امْهواء ، أى طاب الهواء .

١٥ — التَّلْتَلَةُ فى بَهَراء ، وهى كسر أوائل الأفعال المضارعة ، يقولون : تِعْلَمون وتِفْعَلون وتِصْنعون .

١٦ — عجرفية ضَبَّة وهو تقعُّرهم فى الكلام .

اختلاف لغات العرب

قال أحمد بن فارس : اختلاف لغات العرب من وجوه ، وهى :

١ — الاختلاف فى الحركات نحو : نَسْتَعين ونِسْتعين بفتح النون وكسرها هى مفتوحة فى لغة قريش وأسَد وغيرهم يكسرها .

٢ — الاختلاف فى الحركة والسكون نحو : مَعَكُم ومَعْكُم .

٣ — الاختلاف فى إبدال الحروف نحو : أُولٰئِكَ وأُولالِكَ .

٤ — الاختلاف فى إنَّ زيداً وعِنّ زيداً .

٥ — الاختلاف فى الهمز والتليين نحو : مُسْتَهْزِءُونَ ومُسْتَهْزُون .

٦ — الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو : صاعِقَه وصاقِعَة .

٧ — الاختلاف فى الحذف والاثبات نحو : اسْتَحْيَيْتُ واستَحَيْتُ ، وصَدَدْتُ وأَصْدَدْتُ .

٨ — الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفاً مُعْتَلاً ، نحو : أمّا زيدٌ وأَيْما زيدٌ .

٩ — الاختلاف فى الإمالة والتفخيم مثل : قضى ورمى ، فبعضهم يفخم ، و بعضهم يميل .

١٠ — الاختلاف فى الحرف الساكن يستقبله مثله ، فمنهم من يكسر الأول ، ومنهم من يضم نحو : اشتروِا الضَّلالَةَ ، واشتروُا الضَّلالة .

١١ — الاختلاف فى التذكير والتأنيث ، فإن من العرب من يقول : هذه البقر وهذه النحل ، ومنهم يقول هذا النحل وهذا البقر .

١٢ — الاختلاف فى الأدغام نحو مُهْتَدُون ومُهَدُّون .

١٣ — الاختلاف فى الإعراب نحو : ما زيدٌ قائمًا ، وما زيدٌ قائم ، و إن هذين و إنّ هذان .

١٤ — الاختلاف فى صورة الجمع نحو : أسْرَى وأسارَى .

١٥ — الاختلاف فى التحقيق والاختلاس نحو: يَأْمُرُكُمْ ويَامُرُكُمْ وعفى له وعف له.

١٦ — الاختلاف فى الوقف على هاء التأنيث مثل أُمَّهْ وأُمَّتْ .

١٧ — الاختلاف فى الزيادة نحو : أُنْظُر وأُنْظُور .

قال السيوطى : كل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها ، وهى و إن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاوَرَها كلٌّ .

٢ — خصائص اللغة

للغة العربية خصائص وسنن مشى عليها العرب فى كلامهم ، وكان لها أثر فى نشوء اللغة العامية ، فإن الاتساع فى الجرى عليها والتسامح فى الشطط فيها أديا إلى التحريف والتغيير فى كثير من حروف اللغة .

القلب

فمن سنن العرب القلب ، وذلك يكون فى الكلمة ويكون فى القصة ، فأما الكلمة فقولهم : جَبَذ وجَذَب ولَبَكَ وبَكَل ورَبَض ورَضَبَ وأنبضَ القَوْسُ وأنْضَبَ ، وهو باب طويل أحيل القارئ إلى مطالعته فى مظانّه من كتب اللغة كالمزهر

للسيوطى والخصائص لابن جنى ، والصاحبى لأحمد بن فارس ، والتسهيل لأبى حيان وغيرها من المصنفات .

الإبدال

من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض [1] مثل مَدَحَه ومَدَهَه وفَرَس رَفَلٌ ورَفَنٌ وفَلَقٌ وفَرْق ، وكذلك إبدال لام التعريف ميما ، والهمزة المصدرة عيناً كما ذكرنا فى اختلاف اللغات . قال أبوحيان فى التسهيل : قال شيخُنا الأستاذ أبو الحسن بن الصائغ ، قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البَدَل ولو نادراً ، وقال أبو عُبَيْدَة فى غريب المُصَنَّف فى باب المبدل من الحروف : اسْتَأديت عليه واستعديت والأيْمُ والأيْن الحيّة ، وطابَه الله على الخير وطامَه ، يعنى جَبَلة وفناء الدار وثناء الدار وَجَدَثٌ وَجَدَف للقَبْر وَجَذَوْتُ وجَثَوْتُ ومَرَتَ الخُبْزَ فى الماء ومَرَدَه ونَبَض العِرْقُ ونبذَ وهَرَت الثَّوْبَ وهَرَدَه إذا خرقه الخ . قال محمد بن المستنير قطرب (فى مادة صدع من لسان العرب) : إن قوما من بنى تميم يقال لهم بَلْعَنْبَر يقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كُنَّ بعد السين ، ولا تبالى أثانية كُنَّ أم ثالثة أم رابعة بعد أن يكن بعدها يقولون : سِراط وصِراط و بَسْطة و بَصْطة وسَيْقَل وصَيْقَل وسرَقْت وصَرَقْت ومَسْغَبَة ومَصْغَبَة ومِسْدَغَة ومِصْدَغَة ، وسَخَّرَ لكم وصَخَّر لكم والسَّخب والصَّخَب . وقد ورد بعض الحروف بحرفين مثل : رَجُلٌ صُلْبٌ وصُلْت ، وتَلَع وترع ، وعانت نفسه ورانت والطَّنْس والطَّمْس والنَّسْط والمَسْط ، ثم التقديم والتأخير مثل : سَهْوَق وقَهْوَس وعَبَنْقاة وَعَقَنْباة و بَعَنْقات ، ثم الزيادة فى الحروف مثل:

(١) وليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة يتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد .

قَيْفط من القفط ، وخَيْطَف من الخَطْف ، واسْلَنْطح من السلاطح وشَدْقم وذَرْقَم ودَخْشَن ، الميم والنون زائدتان ، وكذلك ضَيْفَن ورَعْشَن والشَّمْحَط والشِّمْحاطُ والشُّمْحوطُ ، الميم فيها زائدة وكلها من شحط .

وأكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقل مايستعملونه على ألسنتهم ثقلها : الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم العينُ ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الياء ثم الميم ، فأخف هذه الحروف كلها ما استعمله العرب فى أصول أبنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى .

ومن أراد التوسع فى هذا الباب فليطالع فى الخصائص لابن جنى أبواب اختلاف اللغات وتداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية ، وفى الأصلين يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير ، وفى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه .

٣ ـ اتساع اللغة

قال أحمد بن فارس فى باب القول على لغة العرب: هل يجوز أن يحاط بها ؟ قال بعض الفقهاء : كلام العرب لا يحيط به إلا نبى . قال : وما بلغنا أن أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبىّ .وقال السيوطى فى المزهر : كان أبو الأسود الدئلى أعلم الناس بكلام العرب، وزعموا أنه كان يجيب فى كل اللغة . قال أبو الطيب : ومما يدل على صحة هذا ما حدثنا به محمد بن عبد الواحد الزاهد أخبرنا أبو عمرو بن الطوسى عن أبيه عن اللحيانى فى كتاب النوادر قال : حدثنا الأصمعى قال: كان غلام يطيف بأبى الأسود

الدئلى يتعلم منه ، فقال له يومًا : ما فعل أبوك ؟ قال : أخذته حُمَّى ففَضَخَتْه فَضْخًا وطَبَخَتْه طَبْخًا ، وفَتَخَتْه فَتْخًا ، فتركته فَرْخًا ، قال : فما فعلت امرأة أبيك التى كانت تُشارُه وتُجارُه وتُضارُه وتُزَارُه وتُهارُه وتُمارُه ؟ قال طلقها وتزوج غيرها فحظيت عنده ورضيت و بَظِيَتْ . قال : وما بظيت يابن أخى ؟ قال حرف من العربية لم يبلغك . قال : لاخير لك فيما لم يبلغنى منها .

وفى اللغة كثير من الألفاظ الموضوعة مثل عنشج، أعنى ثقيل ، وضهيد : الرجل الصلب ، و بشبش : أى التبش .

وفى اللغة ما روى من الألفاظ مما لم يصح ولم يثبت ، وذلك لعدم اتصال سنده لسقوط راويه أو جهالته أو لعدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه مثل الرفف الرقة فى الثوب وغيره و بتأ يبتأ بتأً : إذا أقام بالمكان ، هتأ الشىء يَهْتؤه : إذا كسره ، والدَّنْحَبة : الخيانة . الكسحبة : مشى الخائف . الحبشقة : دويبة . القَهْبسة: الأتان . الغليظة : القَشْلب نبت . العَضْبل : الضُّلْبُ . الهَنْقَب : القصير الخ ، وكلها ليس بثبت .

مخالطة العرب للأعاجم

من أسباب تحريف اللغة وفسادها اختلاط العرب بالأعاجم بسبب فتوحاتهم العظيمة لمختلف البلدان شرقاً وغربًا ، فنشأت عن ذلك لغة عربية تسمى الحضرية . قال عبد الرحمن بن خلدون : لما كان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت الألسن كلها فى جميع ممالكها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه ، فصار استعمال اللسان العربى من شعائر الإسلام وطاعة العرب ، وهجر الأمم لغاتهم ، وألسنتهم فى جميع الأمصار والممالك ، وصار اللسان العربى لسانهم حتى نسخ ذلك لغة فى جميع أمصارهم ومدنهم ، وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها

وغريبة ، ثم فسد اللسان العربى بمخالطتها فى بعض أحكامه وتغير أواخره وإن كان بقى فى الدلالات على أصله وسمى لسانا حضريًا فى جميع أمصار الإسلام ، وأيضا فأكثر أهل الأمصار فى الملة لهذا العهد (توفى عبد الرحمن بن خلدون سنة ٨٠٨ هـ / سنة ١٤٠٦ م) من أعقاب العرب المالكين لها الهالكين فى ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا بها ، وورثوا أرضهم وديارهم ، واللغات متوارثة ، فبقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئاً فشيئاً ، وسميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار ، بخلاف لغة البدو من العرب فإنها كانت أعرق فى العروبة . أما اللغة العربية الفصحى فلم تبق كما كانت بالطبع والملكة فى ألسنتهم صفة راسخة فى أهلها يأخذها الآخر عن الأول ، بل هى مما يقع تعليمها الآن صناعيًا بالقوانين المتدارسة .

القول فى اللغة العامية المصرية

اللغة العربية العامية التى نتكلمها الآن فى مصر ليست بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى ، وهى تبتعد عن الفصحى فى شيئين الإعراب وتركيب الحروف . أما الإعراب وهو الإبانة عن المعانى بتغيير أواخر الكلم ، فالرجوع إليه يكاد يكون مستحيلا ، لأن اللغة تؤخذ اعتياداً يحفظها الخلف عن السلف ، وتُسْتَقَى بالسماع ، فالصبى العربى يسمع أبويه أو غيرهما ، فيأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات ، وهذا لايمكن تحقيقه اليوم ، أو تؤخذ تلقُّناً من مُلَقِّن ، وهذا إن تيسر للبعض فإنه يتعسر على الأكثرية . وأما تركيب الحروف فأكثر حروف اللغة وإن أصاب بعضها تغيير قد يكون عظيما لا يزال يقرب من الأصل الفصيح ، وإن التغيير والتبديل الحاصلين فى هذه الحروف قد يسهل فى الكثير منها

نسبتهما إلى خصائص اللغـــة وسننها فى اللهجات المختلفة كما بينا فى الـكلمة السابقة . على أن أكثر الـكلمات العامية التى ينفر منها الآن الذوق و يستنكرها الحس إنما كانت من أفصح الألفاظ العربية وأدقها تعبيراً عما فى النفس مطابقة لمقتضى الحال ، وأنّ كثيرًا منها قد استعملت فيه المجازات اللطيفة والاستعارات المستملحة التى تعدّ من أرقى أساليب الفصاحة فى الـكلام والـكتابة ، ولقد تكفى نظرة فيما جمعناه وشرحناه للتحقق مما ذكرت . وقد يستغرب المتأمل فى بعض الـكلمات العامية بعدها هذا البعد عن أصلها الفصيح و يستبعد أن تكون بين الـكلمتين صلة قرابة سابقة ، و إن هذا الاستغراب ليزول ، وهذا الاستبعاد لينمحى متى علم أن التغيير فى الـكلمات الفصيحة لم يحدث مرة واحدة ، بل أن هذه الألفاظ قد تعاورتها أدوار من التغيير تناوبتها مرة بعد أخرى ، وأنه كان هناك عامّةٌ عليا وعامة سفلى أتت بعد الأولى ، وزادت عليها فى تغيير ألفاظ اللغة . قال ابن منظور (المتوفى سنة ٧١١ هـ) فى مادة قرطب ، وأما «القَرْطَبان» الذى تقوله للذى لا غيرة له فهو مُغَيَّرٌ عن وجهه . قال الأصمعى : « الـكَلْتَبانُ » مأخوذٌ من الـكَلْتَبَة وهى القيادة والتاء والنون زائدتان . قال : وهذه اللفظة هى القديمة عن العرب وغيَّرتها العامّةُ الأولى فقالت : «قَلْطَبان» قال : وجاءت عامةٌ سُفْلَى فغيرت على الأولى فقالت «القَرْطَبان» اهـ .

فيرى من ذلك أن اللفظ العامى قد تغير مرتين فى دورين غير متباعدين كثيرا من أدوار حياة اللغة .

ولقد تيسر لى جمع الـكثير من مفردات العامة وعملت على تحقيق أصولها وردّها إليها ورتبتها فى هذا السفر بحسب حروف الهجاء فذكرت اللفظ العامى

أولا و بجانبه تفسيره عند العوام ، ثم أتيت بالأصل الفصيح ، وذكرت تفسيره فى معجمات اللغة كاللسان والتاج و بينت الحقيقة فيها والمجاز .

وإنى لأرجو أن يستفيد منه كلّ قارئ ، و يعمل به كلّ كاتب ، حتى يعود للغة رونقها الساحر ، و يرجع إليها غناها الباهر ، فتفخر وتتيه على كلّ اللغات بقدمها وثباتها أدهراً عظيمة ، وأعمارًا طويلة .

والله سبحانه أسأله المغفرة فيما عسى أن يكون زلّ به القلم ، وهو حسبى وكفى ؟

الدكتور أحمد عيسى

ليلة الجمعة { ١٠ رمضان سنة ١٣٥٤ هـ
{ ٦ ديسمبر سنة ١٩٣٥ م

obeikandl.com